الصيد في الفن الصخري: شمال غربي الجزيرة العربية أنموذجا

نايف بن علي القنور

ملخّص: يُعد الصيد أحد الركائز المهمة في استمرار حياة المجتمعات البشرية القديمة، الا أن طبيعته ومعرفة شيء من خباياه تحتاج لمزيد من الدراسة والبحث، لاسيما ونحن نتحدث عن فترة حضارية سبقت مرحلة التدوين بآلاف السنين. ومن هنا، سيقوم البحث بتقصي عمليات الصيد التي ظهرت في لوحات الفن الصخري خلال فترات مختلفة من عصور ما قبل التاريخ، واستنطاق طبيعتها للوصول إلى فهم أكبر عن طرقها وأنواعها، والحيوانات المستهدفة والأسلحة المستخدمة، وما يمكن أن نصل إليه من خلالها من معلومات تعزز هذا الجانب الحيوي والحضاري في منطقة الدراسة، والتي تمثل عينة للأجزاء المتبقية من الجزيرة العربية.

كلمات مفتاحية: الجزيرة العربية، استئناس الحيوان، الأسلحة، الصيد، الفن الصخري، الأوضاع الحضارية.

Abstract: *Hunting is considered one of the important factors of survival for ancient human communities. Nevertheless, its nature and some of its intricacies need further studying and investigation, particularly as the case goes back thousands of years prior to the development of writing. This paper, therefore, examines hunting operations that emerged in rock arts during different prehistoric periods, and investigates their features to enrich our understanding of hunting methods, patterns, targeted animals and weapons used. The gained information on this vital practice and social engagement in the study area, will serve as a representative model for the practice in other parts of the Arabian Peninsula.*

مقدمة

يُعد الصيد -محل الاهتمام- أحد الوسائل التي استخدمها الإنسان قديماً في الحصول على غذائه وتأمين حاجته، وحاجة أفراد مجموعته المعيشية. واستنادًا إلى الأدلة الأثرية التي كشفت في الجزيرة العربية، فإن اقتصاد الصيد كان سائدًا في عصر البلايستوسين (Pleistosene)، الذي يقابله في التقسيم الحضاري فترة العصر الحجري القديم، فقد شهد ذلك العصر تغييرات أساسية في علاقة الإنسان بالبيئة (الأمين ١٤٢٤: ١٧-١٨). وعلى الرغم من أنه لا توجد صورة واضحة خلال هذا العصر عن الطريقة، أو الكيفية التي يتم بها صيد الحيوانات، إلا أن ما يتوافر من معلومات تظل محصورة في المرحلة التالية من الصيد، وهي عملية تجهيز الطريدة وتقطيعها؛ فقد دلت على ذلك بعض أنواع الأدوات الحجرية المكتشفة مثل: الفؤوس، والسواطير، والسكاكين، والمكاشط، والمثاقب ونحوها، التي استخدمت لهذه الأغراض.

وفي العصر الحجري الحديث، تركَّزَ اقتصاد الصيد على استغلال الموارد الغذائية في الصحاري والمرتفعات والسواحل وما بها من حيوانات متنوعة، إذ عُثر على أدوات حجرية في عدد من المواقع داخل الجزيرة العربية استخدمت بشكل مباشر في عمليات الصيد، مثل: رؤوس السهام مشحوذة الوجهين، والأشكال الورقية والرمحية، والحراب، والمكاشط، والمثاقب، والمخارز وغيرها، التي تعكس استخدامات متنوعة للصيادين الأوائل خلال هذا العصر، كما عثر

الخريطة ١: أبرز مواقع الفن الصخري في منطقة الدراسة

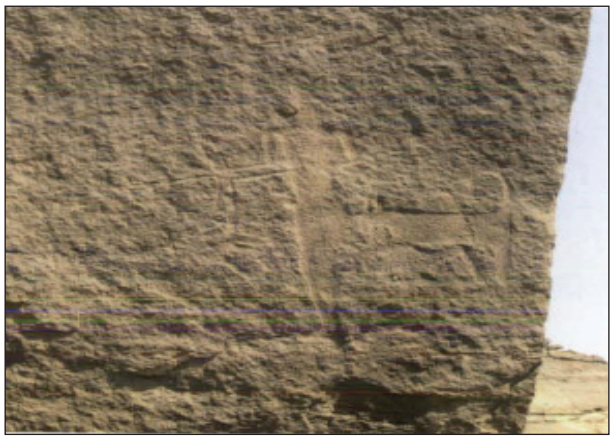

اللوحة ١: مسح الرسومات الصخرية ، شكل ٧,٦ج

في بعض تلك المواقع على عدد من العظام لحيوانات مختلفة، مثل: الغزلان، والأبقار، والضأن، والماعز، التي كان يتم اصطيادها (عبدالنعيم ١٤٢٤: ١٥). إضافة إلى استخدام الأقواس والسهام والرماح في الفن الصخري.

ومن هنا، سيقوم الباحث بتقصي عمليات الصيد من خلال الواجهات الصخرية المختارة للدراسة، والبالغ عددها (٢٣) واجهة صخرية، من أجل معرفة ماهية الحيوانات المستهدفة في الصيد وأنواعها والأسلحة المستخدمة، وغيرها من المعلومات التي قد تساعد في التعرّف على جانب من الوضع الاقتصادي للمجتمعات البشرية القديمة.

١. الصيد باستخدام الكلاب

يعد الصيد باستخدام الكلاب المدرّبة إحدى الطرق التي عرفها الإنسان القديم وكيّفها في الحصول على غذائه، وذلك منذ العصر العصري الحديث على أقل تقدير، كما يتضح ذلك من خلال لوحات الفن الصخري. وتظهر اللوحات رقم (١-٣)، من موقعي الشويمس وجبة بمنطقة حائل، مشاهد صيد تؤرخ إلى العصر الحجري الحديث (السعود ١٤٢٦: ١٣٣)، ونلحظ في اللوحة رقم (١)، الصياد مع كلب صيد مدرب ينظران باتجاه واحد وفي حالة تحفّز، ويمسك الصياد بقوس وسهم بينما الكلب رافعاً ذيله للأعلى بانحناء نحو الأمام.

أما في اللوحة رقم (٢)، فيظهر الصياد ممسكاً

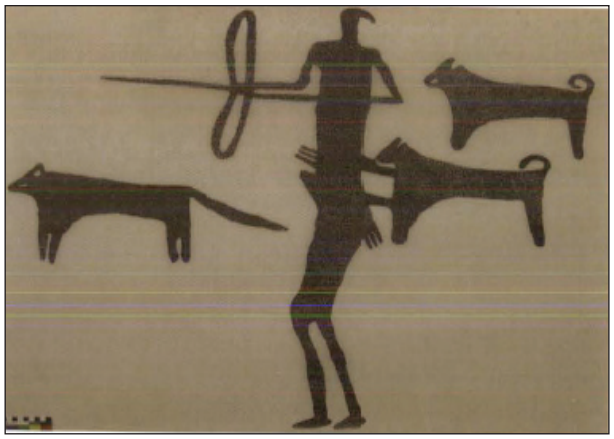

اللوحة ٢: مسح الرسومات الصخرية ، شكل ٧,١٤ أ (السعود).

بقوس وسهم ويرافقه ثلاثة كلاب، اثنان منها خلفه، والثالث أمامه، ويلاحظ أن أشكال الكلاب التي تقع خلف الصياد متماثلة من حيث الشكل وطريقة التنفيذ، أما الآخر الواقع أمام الصياد فيختلف عنهما بذيله الممدود بشكل مستقيم نحو الخلف بميل طفيف للأسفل.

ويلاحظ في هاتين اللوحتين تناسق النسب التشريحية للأشكال المنفذة، وكذلك ديناميكية الحركة، إذ صوّر الإنسان القديم هذه الأشكال بطريقة توحي بتفاعل الصياد وكلابه مع المشهد العام للموضوع، على الرغم من عدم ظهور نوع الطريدة في هاتين اللوحتين.

أما في اللوحة رقم (٣)، فيظهر الصياد ممسكاً بقوس وسهم وأمامه ستة كلاب صيد موزعه بطريقة رائعة، ويقف أمامها وعل بحجم كبير وقرون طويلة

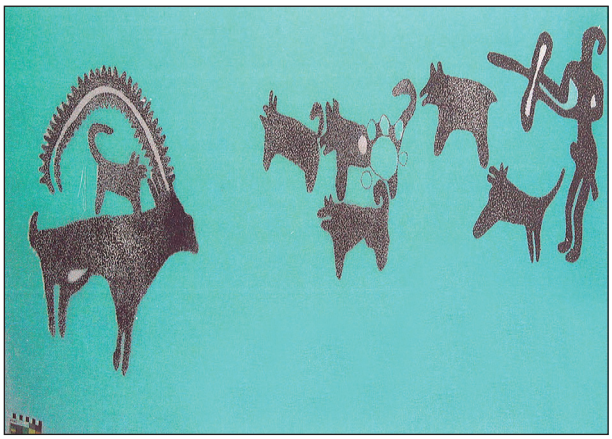

اللوحة رقم ٣: Khan.Rock Art of Saudi Arabia, fig. 169

اللوحة رقم ٤: كباوي، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية المرحلة الثالثة، شكل ٩٧

ملتفة نحو الخلف بشكل مبالغ فيه، ويتجه هذا الوعل بجسمه نحو الصياد.

أما اللوحات العائدة لفترة الدراسة، فتظهر اللوحة رقم (٤) من موقع وادي ضم بمنطقة تبوك، وتؤرخ إلى العصرين البرونزي والحديدي أو ما يعرف أحياناً بعصر فجر التاريخ أو العصر المعدني (كباوي ١٤٠٩: ٧١-٩٢) إذ يظهر الصياد من دون سلاح في يمين اللوحة بنسب تشريحية غير متناسقة، خاصة في جزئه السفلي الذي يبدو على هيئة كمثرية الشكل، بينما جزأه العلوي نحيل ويداه قصيرتان ممدودتان بشكل أفقي على مستوى الكتفين.

ويظهر في وسط اللوحة وعل كبير الحجم بقرون طويلة وملتفة نحو الخلف بشكل مبالغ فيه، وأطرافه الأربعة تنتهي بحوافر بارزة للأمام تشبه أقدام الإنسان، وخلف الوعل يقف كلب صغير في حالة تأهب، إذ يبدو الرأس متجهاً نحو الطريدة، والذيل مرتفعاً للأعلى بميل طفيف للأمام.

أما اللوحة رقم (٥) والتي تؤرخ للعصرين البرونزي والحديدي (القنور ١٤٣٥: اللوحة رقم ٢٤)، من موقع الشويمس بحائل، فتعد من اللوحات الجميلة، وذلك لظهور أكثر من نوع بالنسبة للطرائد، ويبدو الصياد القابع في أسفل اللوحة نُفذ بطريقة تعكس الحالة الراهنة للصيد، فالقدمان منحنيتان ومتباعدتان، واليدان مرفوعتان للأعلى، وتمسك اليد اليمنى بعصى صغيرة معكوفة، وتقف أمام الصياد خمسة حيوانات، منها ثلاثة وعول واثنان من المها الوضيحي، وشكل سادس غير مكتمل يبدو لوعل. ونجد أن الصياد اعتمد في صيد هذا العدد الكبير من الطرائد على كلب واحد؛ إذ يظهر وهو ممسك بيد إحدى الطرائد، وشكل آخر

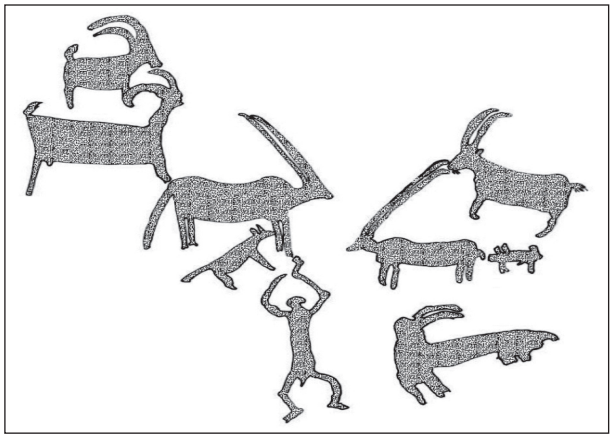

اللوحة رقم ٥: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٢٤) (القنور).

ربما يمثل كلباً صغير الحجم يقف خلف أحد الوعول في يمين الصورة.

وفي اللوحة رقم (٦) والتي تؤرخ للعصرين البرونزي والحديدي (القنور ١٤٣٥: اللوحة رقم ٢٥)، من موقع عردة بتيماء، تظهر حالة صيد لحيوان الوعل بواسطة كلبي صيد، وهذه اللوحة تعبر عن مشهد جميل يتم خلاله صيد الوعل عن طريق محاصرته، إذ يقف الصياد في وضع حركي معبراً عن ذلك برفع يديه للأعلى وبأصابع مفتوحة وممسكاً في يده اليمنى عصاً طويلة، ومحتزماً بسيف في خصره، وخلفه وسم كبير يمثل دائرة يخرج من طرفها الخلفي خط قصير يلتقي بخط عمودي في المنتصف، والذي ربما يرمز إلى قبيلة الصياد. وأمام الصياد تقف الطريدة متجهةً بجسمها نحوه، وأمام الطريدة كلب نفذ بحجم كبير وبتفاصيل تشريحية متناسقة إلى حد ما، وخلف الطريدة نفذ كلب آخر أصغر حجماً من سابقه، ويبدو أنه ممسك بذيل الطريدة.

أما اللوحة رقم (٧)، من موقع الشويمس، والمؤرخة

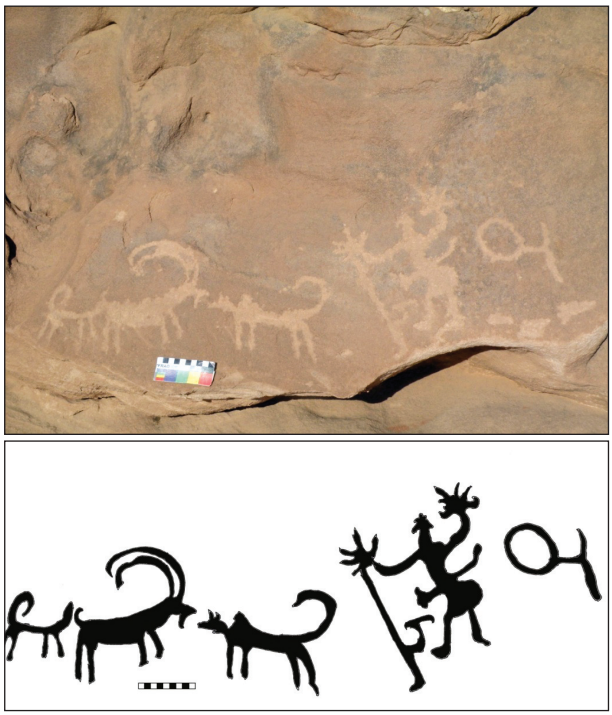

اللوحة ٦: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٢٥) (القنور).

إلى العصر البرونزي والحديدي (السعود ١٤٢٢: ١٣٣)، فنجد أن مشهد الصيد يتجه نحو يسار اللوحة، إذ يبدو الصياد ممسكاً بقوسه ويصوبه نحو الطريدة، وأمامه كلب صيد ممسكاً بذيل الطريدة التي تمثل وعلاً كبير الحجم وبقرون طويلة وكبيرة ملتفة نحو الخلف بشكل مبالغ فيه، وقد نفذ الفنان الوعل وكأنه يحاول الهرب، إذ تبدو مقدمة الجسم مرتفعه للأعلى قليلاً، والأطراف الأمامية مقوسة كناية عن حالة الفزع والهرب.

وتشكل اللوحة رقم (٨) والتي تؤرخ للعصرين البرونزي والحديدي (القنور١٤٣٥: اللوحة رقم ٢٧)، من موقع الزميلة بتيماء، نموذجاً مختلفاً عن اللوحات السابقة، وذلك أن حالة الصيد هنا قائمة على استخدام الجمل في مطاردة الطريدة واصطيادها، يساعده في ذلك الكلب. حيث يظهر في وسط اللوحة جمل يمتطيه إنسان ممسكاً بقوس موجه نحو وعل صغير يقف أمامه، ونرى كلب الصيد ممسكاً بإحدى قدمي الوعل من الخلف، كما يظهر في أعلى اللوحة من اليمين شخص آخر يبدو في حالة تأهب، إذ نفذت القدمان مقوستين، ومتباعدتين عن بعضهما بعضاً، واليدان مفتوحتين، وممدودتين بمستوى الكتفين.

إذاً، ومن خلال ما سبق، تبين اللوحات ما للكلب من أهمية في مساعدة الإنسان القديم في عمليات الصيد والظفر بالطريدة، وهو من الحيوانات التي عرفها الإنسان القديم وألفها منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى؛ إذ أصبح على علاقة وارتباط غير مباشر به. وبمرور الوقت تطورت العلاقة بينهما إلى أن تم استئناسه بالكامل، ويعده بعض الباحثين أول حيوان تم استئناسه في الشرق الأدنى القديم وأوروبا، إذ يعود أقدم دليل أثري على استئناس الكلب قبل اثنتي عشرة ألف سنة مضت، وقيل عشرين ألف سنة في جنوب غربي آسيا (الماحي ١٤٢١: ٣١؛ النعيمي ١٩٩٨: ١٥؛ غلاب ١٩٩٧: ٢٤٣).

وهناك من الباحثين من يعتقد أن استئناس الكلب تم عن طريق تربية صغارها، إذ إن بعض أفراد الجماعات

اللوحة ٧: السعود، مسح الرسومات الصخرية، شكل ٥,٧ أ

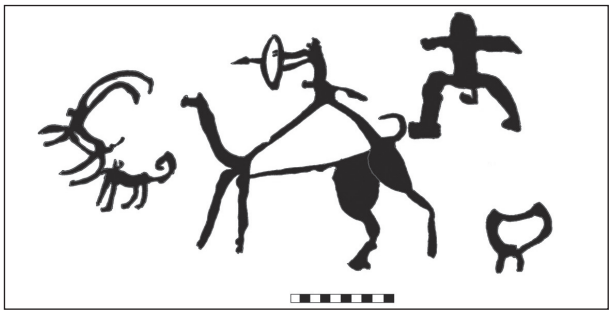

اللوحة ٨: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٢٤) (القنور).

البشرية القديمة عندما تذهب للصيد كانت تجلب معها صغار بعض الحيوانات ومن بينها الكلاب، وبحكم طبيعتها الفطرية فقد وجدت هذه الصغار بيئة مناسبة للعيش بالقرب من الإنسان (الماحي ١٤٢١: ٣١).

وقد استعين بالكلب في عدة أمور أهمها الصيد، وحماية القطعان أثناء الرعي، وحراسة المنازل، إذ يتمتع الكلب بمقدرات فطرية كثيرة لعل أبرزها اقتفاء الأثر بواسطة الشم، وبحاسة سمع قوية حتى أثناء نومه، كما أنه من أشد الحيوانات يقظة، إضافة إلى أنه من الحيوانات التي يمكن بسهولة تعليمها وتدريبها (العاني ١٩٩٨: ١٢٧).

ومن خلال اللوحات أعلاه، يتبين أن عملية الصيد كانت موجهه إلى طرائد معينة، هما الوعل والمها. أما الوعل فيعد من الحيوانات البرية غير المستأنسة، والتي تعيش في المناطق الجبلية الوعرة والأراضي المنخفضة مثل الأودية التي تتوافر فيها المقومات الغذائية مثل الأعشاب والماء (النافع ١٤١٩: ٦٧٣).

ويتميز الوعل بشكل عام بقرون سميكة وكبيرة ملتفة إلى الخلف، يصل طولها إلى حوالي ١٢٠سم، ويحوي بعضها حلقات دائرية تكثر عند الذكور وتقل لدى الإناث، وقد فسرها بعض الباحثين بأنها تمثل نوعاً من الأساليب الفنية التي يقصد بها الزخرفة والزينة (عبدالنعيم ١٤١٦: ٢٥٩؛ كباوي ١٤١٠: ٥٧؛ كباوي ١٤٢٠: ١٠٤). إلا إن حقيقتها غير ذلك، فهي تعد سمه تشريحية من أصل القرن (القنور ١٤٢٣: ٢١٣).

وتعد مشاهد صيد الوعول من أكثر المشاهد حضوراً في الفن الصخري، وذلك يعود إلى ما يتميز به هذا الحيوان من قيمة غذائية عالية وجيدة، كذلك فإن صيد الوعل والحصول عليه يعد ضرباً من ضروب المهارة، والقوة لدى الصياد، وذلك لما يتمتع به الوعل من قوة، وسرعة، وحذر، وقدرة على صعود المناطق الجبلية الوعرة والاختباء بها.

وقد ارتبطت الوعول -أحياناً- ببعض الطقوس الدينية لدى بعض المجتمعات القديمة وخصوصاً في حضارة جنوب غربي الجزيرة العربية؛ فقد اتُخذ رمزاً مقدساً للآلهة عثتر أو عشتار (عقيل ١٤٢٥: ٣٧).

أما غزال المها، أو المها الوضيحي في تسمية أخرى، فإنه من أكبر البقريات الثديية الأليفة غير المستأنسة في الجزيرة العربية وأشهرها، ويعيش هذا الحيوان في المناطق الصحراوية وكذلك الأودية، والسهول الحصوية، والمناطق المنخفضة التي يكثر بها أشجار العضاه التي يتغذى عليها (النافع ١٤١٩: ٣٧٦).

ويتميز المها برشاقة جسمه ذي اللون الأبيض الناصع، وبقرنين طويلين مستقيمين يراوح طولهما ما بين ٧٠-٩٠سم، وذيل طويل ينتهي بخصلة من الشعر (غندور ١٩٨٧: ٢٦).

وقد عثر على العديد من مشاهد الصيد باستخدام الكلاب والقوس والسهم، إذ وجد في جبل الغوطة والصليحات في موقع جبة بمنطقة حائل على مشاهد صيد المها والوعول، كذلك في وادي البقار بمنطقة تبوك (Abdul Nayeem 2000: 59, 158, 170, 171)، وفي وادي ضم وفي سكاكا بمنطقة الجوف (Khan 2007: 118)، وكذلك في جبل كوكب بمنطقة نجران (الجبرين ١٤٣٣: لوحة ٥٤)، وفي اليمن (Abdul Nayeem 2000: 455).

٢. صيد الحمير

تبين اللوحة رقم (٩) - من موقع جبة بحائل والتي تؤرخ إلى العصرين البرونزي والحديدي (السعود ١٤٢٢: ١٣٣) - فارساً يمتطي جواده وممسكاً برمح طويل في إحدى يديه، والأخرى تمسك لجام الخيل، وأمامه أنثى حمار وصغيرها، وقد غرس الفارس مقدمة رمحه بمؤخرة الطريدة. ومن عادات الحمير عند الولادة الابتعاد عن القطيع والبحث عن مكان هادي وآمن لوضع المولود، وبعد الولادة تظل الأم مع وليدها إلى أن يشتد عوده ويصبح قادراً على المشي والجري (القزويني ١٩٨١: ٤٠٣)، ولعل هذه اللوحة تصور واقع الحال، حيث انتهز الصياد الفرصة عندما رأى الحمار وصغيرها وانقض عليها برمحه.

ولا شك أن الغرض من صيد الحمير ربما كان لأكلها، وذلك قبل أن يتم استئناسها، ثم أصبح الغرض منها بعد استئناسها لنقل وحمل الأمتعة، وجر المركبات، والتنقل عليها لمسافات ليست طويلة.

وعلى الرغم أنه لا توجد أدلة واضحة على تاريخ بداية استئناس الحمار، إلا أن الإنسان القديم عرف الحمار وجسّده في رسوماته، حيث أظهرت عدداً من الفنون الصخرية في موقع الشويمس بمنطقة حائل

اللوحة ٩: تقرير عن مسح مواقع جبة، شكل ١٥,٧ب (السعود).

أشكال للحمير إلى جانب الخيول في مشاهد متنوعة يبدو أنها غير مستأنسة، وتعود إلى العصر الحجري الحديث (Khan 2007: 165).

وعموماً فإن الحمير تتمتع بالقوة والتحمل والصبر على الجوع والعطش والحر، ومن أنواعها المشهورة الحمار الوحشي الذي ينحدر منه الحمار المدجن، فقد كان يعيش شرقي أفريقيا قبل اثنتي عشرة ألف سنة مضت، وفي الجزيرة العربية كان يعيش نوع من هذه الفصيلة يسمى بالأخدري وهو يشبه الحمار المدجن في شكله إلا أنه أنقرض (العاني ١٩٩٨: ٤٤، ٦٣).

أما الخيول، فلا شك أن الإنسان القديم قد عرف الخيل واستأنسها، بدليل امتطائه إياها، إذ تعد الخيل من أجمل الحيوانات، وأنفسها في نظر المجتمعات البشرية القديمة والحديثة، وذلك لما لها من مقومات فطرية وجسدية، مثل: السرعة، والقوة، والذكاء، والتحمل في الكر والفر، واستخدامها في الصيد، والحروب والتنقلات.

ويعتقد أن الموطن الأصلي للخيول هو وسط آسيا وشماليها، وقد قامت بهجرات كثيرة إلى بقية مناطق العالم، ومن ضمنها أراضي الجزيرة العربية (العاني ١٩٩٨: ٣٦-٣٧؛ غادري ٢٠٠٤: ٢١)، وقد عرفها الإنسان في بداية الأمر باسم حيوان البحر في نحو عام ٢٠٠٠ ق.م، في منطقة الشرق الأدنى القديم (غلاب

اللوحة ١٠: كباوي، تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية، شكل ٨٩أ

١٩٩٧: ٢٨٤).

أما عن استئناس الخيل فإن هناك عدة أقوال في ذلك، منها أن الإنسان بدأ في استئناسها قبل نحو ٣٥٠٠ق.م، لغرض حمل الأثقال وجرها (السبيعي ٢٠٠٤: ٣٩)، ورأي ثانٍ يقول إنه سبق عام ١٦٥٠ ق.م، عندما أدخلها الهكسوس في حروبهم بوادي النيل (غلاب ١٩٩٧: ٣٥١)، ورأي ثالث يرى أنه يعود إلى الألف التاسعة قبل الميلاد (السبيعي ٢٠٠٤: ٤٠).

هذا، وقد أشارت عدد من الأحاديث النبوية الشريفة إلى معرفة النبي إسماعيل عليه السلام بركوب الخيل، فقد ذكر القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

«كانت الخيل وحشاً كسائر الوحوش، فلما أذن الله لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد، قال الله تبارك اسمه: إني معطيكما كنزاً ادّخرته لكما، ثم أوحى إلى إسماعيل أن اخرج إلى أجياد، فادع يأتك الكنز. فخرج إلى أجياد -وكانت وطناً- ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز، فألهمه، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته، فأمكنته من نواصيها، وذللها له. فاركبوها وأعلفوها، فإنها ميامين، وهي ميراث أبيكم إسماعيل، فإنما سمي الفرس عربياً لأن إسماعيل أمر بالدعاء، وإياه أتى» (القرطبي ١٤٢٧: ٩٠). وكما هو معروف أن فترة ظهور النبي إسماعيل متزامنة مع النبي إبراهيم عليهما السلام وذلك في بداية الألف الثانية قبل الميلاد (الأنصاري١٤٢٢: ١٤).

وقد اكتشف مؤخراً في موقع المقر الأثري بالقرب من مدينة تثليث جنوب الرياض، الذي يعود تاريخه إلى العصر الحجري الحديث، على أجزاء من منحوتات لخيول بعضها يظهر عليه حبل الرسن؛ ما يدل على أنه مستأنس (الهيئة١٤٣٢). وإذا ما تم التحقق بشكل كامل عن تأريخ معثورات الموقع وذلك بإجراء المزيد من الحفريات العملية والدراسات المتخصصة، فإن هذا الكشف سيعد سبقاً فيما يخص استئناس الخيول في الجزيرة العربية.

٣. صيد الجمال

في منطقة الدراسة توضح اللوحات رقم (١٠- ١٢)، من مناطق الجوف والمدينة المنورة وحائل والتي تؤرخ إلى العصرين البرونزي والحديدي (كباوي ١٤٠٦: اللوحة ٨٩أ؛ خان ١٤٠٨: ١١٣-١١٧؛ السعود ١٤٢٢: ١٣٣)، مشاهد فرسان على ظهور خيولهم يحملون الرماح الطويلة ويطاردون جمالاً. وإذا كان مغزى هذه المشاهد هو الصيد بمفهومه العام، إلا أن الغرض قد يكون الاستيلاء على الجمال أكثر من صيدها؛ وربما ذلك يعود إلى الصراعات القبلية بين بعض المجتمعات البشرية القديمة في الجزيرة العربية حتى وقت قريب؛ أو أن هؤلاء الفرسان يمثلون مجموعة من قطّاع الطرق الذين يسلبون الأنعام لأغراض متعددة، إذ تعد الجمال من الحيوانات التي يحرص الإنسان في الماضي والحاضر على اقتنائها لما تمثله من مصدر للفخر والاعتزاز.

ولعل ما يرجّح هذا الرأي القائل بأن هذه المشاهد تمثل الاستيلاء على الجمال بكونها حيوانات مستأنسة، هو أن ظهور هذه المشاهد تنم عن معرفة الخيل من قبل الإنسان واستئناسها بدليل امتطائها، إذ إن استئناس الخيول تم بعد استئناس الجمال كما سيأتي شرحه، كما أن الجمل في اللوحة رقم (١١)، يظهر وهو مربوط في أطرافه، ما يدل على أنه مستأنس أيضاً.

ويعد الجمل من الثدييات الضخمة الأليفة المستأنسة، التي تتمتع بميزات وخصائص فطرية عديدة، من أبرزها: القوة، والقدرة الكبيرة على تحمل الجوع والعطش، وحمل الأمتعة الثقيلة لمسافات طويلة وفي أجواء صحراوية قاسية (العاني ١٩٩٨: ٧٣).

وهناك من الباحثين مَن يرى أن الجمال ذات السنام الواحدة عاشت في الجزيرة العربية وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم (العاني ١٩٩٨: ٧٧)، إلا أن الاختلافات هنا تقع في تأريخ استئناس الجمل.

فمن الآراء التي طرحت في هذا الشأن، أن الاستئناس ربما حدث في الألف السابعة قبل الميلاد استناداً إلى نتائج تحليل كربون (١٤) لعينات من فك جمل عثر عليه في موقع سهى على ساحل البحر الأحمر (عبد النعيم ١٤١٦: ٢٧٣؛ صراي١٤٢٠: ٣-٥)، ورأي آخر يقول إنه كان في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وذلك بناءً على مكتشفات حفرية موقع أم النار في الإمارات العربية المتحدة (عبد النعيم ١٤١٦: ٢٧٣)، وثالث يرجعه إلى قبل نحو ٢٠٠٠ قبل الميلاد (محمد ١٩٩٩: ١١). كما ذُكر -أيضاً- أنه تم استئناس الجمل في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد (العمير ١٤١٨: ١١٧) دون تعليل السبب. بينما يرى مجيد خان أن استئناس الجمل لم يتم إلا في العصر البرونزي المتأخر (Khan 2007: 131).

إلا أنه يمكن القول إن الجمل عرف في فترة سبقت ظهور النبي إبراهيم عليه السلام الذي عاش في بداية الألف الثانية قبل الميلاد (الأنصاري ١٤٢٢: ١٤)، وذلك خلال عصر النبي نوح عليه السلام. فقد ورد في السنة النبوية المطهرة أن ابن عباس رضي الله عنه قال: حج الرسول صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادي عسفان قال: يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟ قال: هذا وادي عسفان. قال: لقد مر بهذا (يقصد الوادي) نوح وهود وإبراهيم، على بكران لهم حمر خطمهم الليف، أُزرهم العباء وأرديتهم النمار، يحجون البيت العتيق (ابن كثير١٤٢٠: ٩٣).

وكما هو معلوم أن بين إبراهيم ونوح عليهما السلام فترة زمنية ليست بالقصيرة، ظهر خلالها عدد من الأنبياء والرسل من بينهم النبي هود عليه السلام الذي عاش على أرجح الأقوال في الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير (الأنصاري ١٤٢٢: ١٤). إذاً، يمكن الخلوص إلى أن الجمل قد عرف كحيوان مستأنس على الأقل في الألف الرابعة قبل الميلاد.

وكما استعرضنا أعلاه، فإن الاختلافات بين الباحثين في مسألة تحديد المدة الزمنية التي تم فيها استئناس الجمل يعود في أحد أسبابه إلى عدم العثور على بقايا عضوية للجمل في المواقع التي تم كشفها حتى الآن في الجزيرة العربية، ما يساعد في معرفة تأريخ استئناس هذا الحيوان.

ومهما يكن، فإن استئناس الجمل قد أحدث ثورة اجتماعية واقتصادية في تاريخ المجتمعات البشرية القديمة، حيث أمكن الاستفادة من هذا الحيوان في أغراض شتى، من بينها وأهمها النواحي المعيشية المتمثلة في اللحوم والألبان، كذلك الاستفادة من بقاياه العضوية مثل الجلود والوبر في صناعة اللباس والحبال والأحذية والخيام والفُرش ونحوها، كما أعان الجمل الإنسان في تنقلاته الموسمية وحمل الأمتعة لمسافات طويلة. وفي فترات لاحقة أُدخلت الجمال عالم التجارة ونقل البضائع من مكان إلى آخر؛ ما كان له الأثر الأكبر في دعم وتنشيط التجارة العالمية.

وقد عثر على مشاهد صيد الجمال في عدة مناطق من الجزيرة العربية باستخدام الخيول والرماح الطويلة، إذ وجدت مشاهد تصور هذه الأوضاع من سكاكا في منطقة الجوف (Khan 2007: 143)، كذلك في جبل كوكب بمنطقة نجران تصور مطاردة الجمال على الخيول وصيدها باستخدام الرماح الطويلة (الجبرين ١٤٣٣: ١٩٧). كما عثر في موقع الظبطية في المنطقة الشرقية على المشاهد ذاتها، وتؤرخ إلى العصرين البرونزي والحديدي (الهاجري ١٤٢٣: ١٦٦).

اللوحة ١١: التركيب والشكل، شكل ٩٧ (خان).

٤. صيد النعام

تحظى مشاهد صيد النعام باهتمام كبير من قبل الإنسان القديم، إذ قام بتنفيذ العديد من اللوحات التي تحكي تلك المشاهد وتصورها بأوضاع مختلفة. ولا شك أن طائر النعام يعد من الطيور المفضلة لدى المجتمعات البشرية القديمة عبر تاريخها الحضاري، سواء لما تمثله من غذاء جيد أم لكونها توفر مواد عضوية كالريش مثلاً تستخدم لأغراض متعددة في الحياة اليومية.

وتبين اللوحات (١٣-١٧) (القنور ١٤٣٥: اللوحات رقم (٣٢، ٣٦))، من منطقتي تبوك والجوف، حيث تؤرخ اللوحتين (١٣، ١٧)، إلى العصرين البرونزي والحديدي (ليفنجستون ١٤٠٥: اللوحة ٨٩ب)، تبين مشاهد صيد النعام باستخدام الخيول، والرماح الطويلة، إذ توضح تلك المشاهد الطريقة التي يتم بها الحصول على هذا الطائر، وذلك بمطاردته على الخيول؛ ومن ثم محاولة محاصرته بعد إجهاده وقتله باستخدام رماح طويلة أو مسكه حياً.

ولا شك أن طائر النعام يعد من أكبر الطيور الأليفة غير المستأنسة التي لا تطير، حيث يصل طول النعام البالغ نحو ٢,٥م، ويزيد وزنه عن ١٥٠كم، ويتميز هذا الطائر برقبة طويلة ورأس صغير، وقدمين طويلتين تساعداه على الجري بسرعة كبيرة (الدوسري ١٤٣٠: ٢٥٨)، ويعيش النعام في المناطق الصحراوية القاحلة والسهول الرعوية المنبسطة باعتبارها البيئة المناسبة لعيشه (البادي ٤١٨: ٣٥٢).

ويعد النعام مطلباً لدى الجماعات البشرية القديمة، وذلك لما يحتويه من مخزون كبير من اللحم الأحمر والبيض، والريش الطويل الناعم الذي يستخدم لأغراض متعددة مثل الزينة، كما يمكن أيضا الاستفادة من قشرة البيض في حفظ السوائل (شقير ٢٠٠٢: ١٥؛ ابو العلاء ٢٠٠٩: ٣٣؛ العاني ١٩٩٨: ٢٢٩).

وقد عُثر على مشاهد كثيرة لصيد النعام داخل الجزيرة العربية وخارجها، إذ عثر في جبل كوكب بمنطقة نجران على مشهد يصور خيال يطارد النعام باستخدام رمح طويل (الجبرين ١٤٣٣: ١٧٥)، كما وجد في جبل يدمه بنجران على مشهد صيد النعام (كباوي ١٤١٦: اللوحة ٢٦)، كذلك عثر في صحراء سيناء على مشهد صيد النعام باستخدام القوس والسهم (علام ١٩٧٩: ٢٧).

٥. صيد الأسود

قام الإنسان القديم بتصوير مشاهد صيد الأسود في رسوماته الصخرية، حيث تقدم هذه المشاهد أنموذجاً للصراعات التي يواجهها الإنسان القديم مع الحيوانات المفترسة التي بلا شك تشكل خطراً محدقاً على حياته وحياة مجتمعه.

وتبين اللوحات رقم (١٨- ٢٣) (القنور ١٤٣٥: لوحة رقم ٣٧-٤٢)، من منطقتي حائل وتبوك، التي تؤرخ إلى العصرين البرونزي والحديدي (السعود ١٤٢٢: ١٣٣). مشاهد متنوعة لصيد الأسود باستخدام القوس والسهم والعصى، سواءً كانت صيد فردي أو جماعي. حيث يظهر في اللوحات رقم (١٨- ٢٠)، أن من يقوم بالصيد شخص واحد، حيث يواجه الأسد وجهاً لوجه ويقوم بإطلاق السهم نحوه، أو ضربه بالعصى.

أما اللوحات رقم (٢١- ٢٢)، فنجد أن صيد الأسد هنا هو صيد جماعي، حيث يقوم أكثر من شخص

اللوحة ١٢: تقرير عن مسح مواقع جبة، شكل ١٠,٧أ (السعود).

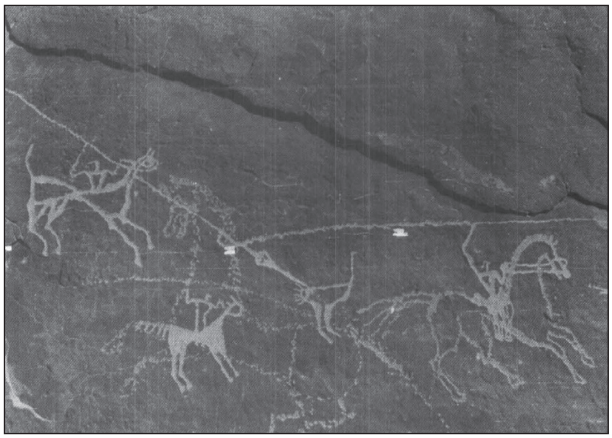

اللوحة ١٣: حصر وتسجيل النقوش الصخرية، شكل ١٣٢أ (ليفنجستون).

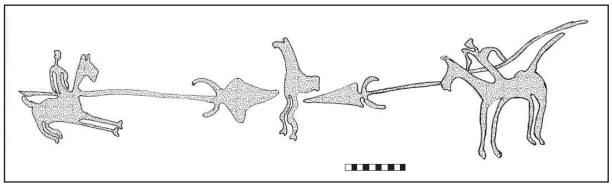

اللوحة ١٤: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٣٣) (القنور).

بمحاصرة الأسد باستخدام القوس والسهم ثم قتله، ما عدا اللوحة رقم (٢١)، إذ نجد أن الإنسان القديم قام بتنفيذ هذه اللوحة على خلاف المتوقع، وذلك بجعل الأسد يتبع الإنسان، مع أن هناك شخصين يحيطان بالأسد من جانبيه ويوجهان قوسيهما وسهميهما نحوه، وقد نفذ الشكلان بطريقة الجذع المائل كدليل على تيقظهما وانتباههما، وكأنهما يسيران مع الإنسان الذي يقف أمام الأسد يحرسانه منه. الجدير بالذكر أن هناك عدداً كبيراً من النقاط الصغيرة التي تنتشر حول الأسد والشخص الذي يقف أمامه، وربما تكون تلك النقاط عبارة عن تمائم للسيطرة على الأسد.

وكانت الأسود حتى وقت قريب تعيش في أراضي الجزيرة العربية، حيث نقلت بعض كتب الرحالة العرب والمسلمين، وكذلك أشعارهم ذكر الأسد في أماكن مختلفة، وذلك بإبراز أوصافه وهيبته تارة، وتارة أخرى يشبهونه بأبطالهم، ويتفاخرون بقتله وصيده (كمال ١٤١٨: ١١٥-١١٦).

كما أن الأسد يعد رمزاً مقدساً لعدد من المعبودات داخل الجزيرة العربية وخارجها، وأن صيده يعد طقساً دينياً ليتم تقديمه قرباناً لها (باخشوين ١٤٢٣: ٣٢٨). إضافة إلى أن صيده ربما كان لأكله، إذ إن العرب قديماً يرون أن أكل لحوم السباع تزيد من شجاعة الرجل وقوته (الألوسي ١٩٢٤: ٣٢٣). إضافة إلى ما ذكر فإن صيد الأسود كان أيضا لاتقاء شرها، إذ إن وجودها بالقرب من أماكن التجمعات البشرية يمثل تهديداً للإنسان وعائلته ومجتمعه وماشيته، والحيوانات التي يصطادها ويتغذى عليها.

وقد عثر على العديد من الفنون الصخرية التي تصور الصراع بين الإنسان القديم والأسد في محاولة لقتله. إذ وجد في جبة بحائل ووادي ضم بتبوك وفي منطقة الجوف على مناظر صيد الأسود باستخدام القوس والسهم، وتؤرخ اللوحات إلى العصرين البرونزي والحديدي (Khan 2007: 207 Abdulnayeem 2000: 84, 155).

كما عثر في موقع المليحية بحائل على رسوم صخرية تؤرخ بالعصرين البرونزي والحديدي تصور صيد الأسود بالقوس والسهم والكلب (Abdulnayeem 2000: 188)، كذلك وجد في جبل كوكب بمنطقة نجران مشهد يصور شخصين يهاجمان أسداً (Anati 1968a: 101)، كما عثر في عمان على مشاهد تصور صيد الأسود باستخدام القوس والسهم (Abdulnayeem 2000: 425). وفي مواقع بصعدة باليمن (Madiha 1994: 163).

إذاً، ومن خلال ما تم استعراضه عن موضوع الصيد بأنواعه وطرقه المختلفة، يمكن القول إن المجتمعات البشرية القديمة كانت تحرص على مصادر معيشتها كونه ضرورة ملحة للبقاء والحياة، وقد حفز ذلك الإنسان القديم في استخدام شتى السبل والطرق من أجل تأمين الغذاء اليومي له ولأفراد عائلته أو مجتمعه. إذ نجد أن الإنسان القديم قام باستئناس الكلب وتطويعه وتدريبه منذ فترات زمنية طويلة تعود في أقل تقدير لها إلى بداية العصر الحجري الحديث، وذلك من أجل استخدامه في عمليات الصيد وخصوصاً الحيوانات التي تحتاج إلى مطاردة كبيرة لما تتميز به من سرعة وحذر مثل الوعول والغزلان والنعام ونحوها، كما أن استئناس الخيول والجمال في مراحل زمنية لاحقة ساعد بشكل كبير في انجاز مهام الصيد بشيء من السهولة والراحة أكثر من ذي قبل.

وتبين اللوحات السابقة أن هناك حيوانات معينة فضلها الإنسان القديم في غذائه وحرص على صيدها بشكل دائم، ولعل هذه الحيوانات هي ما توافرت في بيئته الطبيعية بشكل كبير مثل الوعول، والغزلان، والمها الوضيحي، وطائر النعام، على أن هذه الأنواع تعد أنموذجاً لما يقتات به الإنسان القديم وأفراد مجتمعه، إلا أن هناك حتماً أنواع أخرى من الطرائد يتغذى عليها كانت موجودة في بيئته ويقوم بصيدها وليس بالضرورة إظهارها في الفن الصخري. إضافة إلى ظاهرة صيد الأسود التي تنتشر مشاهدها في مواقع الفنون الصخرية بمنطقة الدراسة، ولعل الغرض من صيدها كان لدفع الضرر عن الإنسان ومجتمعه إن

اللوحة ١٥: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٣٤) (القنور).

اللوحة ١٦: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٣٥) (القنور).

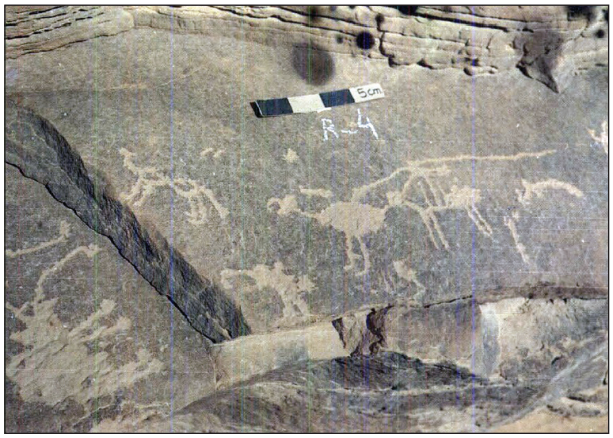

اللوحة ١٧: تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية، شكل ٨٩ب (كباوي).

اللوحة ١٨: مسح الرسومات الصخرية، شكل ٧.٧ ب (السعود).

اللوحة ١٩: تقرير عن مسح مواقع جبة، شكل ٧,٩ج (السعود).

لم يكن لأسباب أخرى مثل الأكل أو تقديمها كقرابين للمعبودات.

إن هذه المشاهد التي تصور عمليات الصيد المختلفة التي يقوم بها الإنسان القديم تؤكد أن هناك انتقاء لنوعية الغذاء المراد اصطياده، إذ إن تكرار ظهور أنواع معينة من الحيوانات في مشاهد صيد لا يدل على كثرة هذه السلالة في البيئة الطبيعية فقط، بل يوحي بتفضيلها على غيرها من قبل المجتمعات البشرية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، فإن هذه المشاهد تعطينا فكرة عن مدى المهارة والخبرة التي وصل إليها الإنسان القديم في اصطياد هذه الحيوانات بطرق متنوعة، على الرغم من الخصائص الفطرية العديدة التي تتمتع بها، أبرزها السرعة والحذر الكبيرين. وهذا برمته يدل على أن هناك تنظيماً اجتماعياً بين أفراد المجتمع الواحد فيما يخص النواحي المعيشية.

كما يمكن الإشارة إلى أن صيد هذه الحيوانات كان لأغراض أخرى إضافة إلى الأكل، إذ إن الإنسان القديم لا بد أنه استفاد من بقاياها العضوية في مناحي حياتية مختلفة، مثل اللباس وأدوات الزينة، واستخدامها أيضاً في شؤون المسكن المختلفة، كما أن قرون بعض الحيوانات مثل الوعول والمها الوضيحي استخدمت في مناشط متعددة نظراً لقوتها وصلابتها.

بقي أن نشير هنا إلى نقطة مهمة، وهي الأدوات المستخدمة في عمليات الصيد، والتي ظهرت في اللوحات المختارة للدراسة، إذ تعد جانباً حرفياً مهماً تميز به المجتمع القديم وطوره للحفاظ على استمرارية حياته المعيشية. ولا شك أن ظهور مثل هذه الأدوات يدل على معرفة المجتمع المحلي المستخدم لها بكيفية صناعتها وبالتالي ظهور طبقة من الحرفيين فيه، إذ تعد الصناعة أحد أهم مظاهر العصر الحجري الحديث والتي أسهمت مع غيرها من الحرف الإنسانية في التطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات البشرية القديمة. ولعل الصناعة مثلها مثل غيرها من الحرف التي ارتبطت بعوامل عدة ساعدت على قيامها ورواجها كاستقرار المجتمع وتوافر المواد الأولية والأيدي العاملة الخبيرة ونحو ذلك (النعيم ١٤١٢: ١٦٥).

وكما هو معلوم أن الإنسان القديم عرف خلال هذا العصر إلى جانب صناعة الأدوات الحجرية صناعة الفخار، ثم تطورت صناعته بعد استغلال معادن النحاس، ثم البرونز فالحديد، وترتب على ذلك ظهور طبقة من الحرفيين الذين أسهموا في استقرار المجتمعات في مستوطنات وقرى ثابتة وكان لهم دور مؤثر في الاقتصاد؛ ما أدى إلى ظهور أنظمة اقتصادية تطورت تبعًا لذلك. ويمكن القول أن العصر الحجري الحديث قد شهد ثورة صناعية، قياسًا على ما كان سائدًا طوال العصر الحجري القديم، وقد مهدت هذه الثورة لبزوغ فجر الحضارات وما صاحبها من تطورات حضارية.

هذا وقد كشف في مواقع أثرية متفرقة من الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي عن أدوات حجرية مثل الحراب، ورؤوس السهام، والفؤوس، والشظايا، والأنصال وغيرها، من الأدوات التي تشير إلى ممارسة الصيد، والزراعة، واستئناس الحيوانات، وتم تأريخ هذه الأدوات لفترة تمتد من الألف الثامنة إلى الألف الثانية قبل الميلاد (الشارخ ٢٠٠٧: ٣٠-٣١). كما ظهرت خلال هذا العصر الأقواس والسهام والرماح كأحد أنواع الأسلحة المهمة، حيث دلت عليها بعض لوحات الفنون الصخرية التي تعود إلى هذه الفترة الزمنية.

ولا شك أن اكتشاف البرونز، بوصفه مادة خام مكونة من خليط معدني من النحاس والقصدير، ما جعله المادة الرئيسة للصناعة، وذلك لمتانته وسهولة تشكيله (الباشا ١٤٢١: ٩٤)، قد ساعد في تطور صناعة الأسلحة من الحراب والسهام والأقواس وغيرها، فنشأ عن ذلك تطور في حرفة الصيد، إذ اعتمد الإنسان عليها في حياته الاقتصادية، والاجتماعية.

هذا، وقد شهد الاقتصاد القائم على الصيد تطورًا مذهلاً بعد اكتشاف مادة الحديد في فترات زمنية لاحقة، إذ ساعد ذلك في تطور صناعة الأسلحة والأدوات المستخدمة في صيد الحيوانات واقتناصها. وإذا كانت الكشوف الأثرية في شمالي الجزيرة العربية وشماليها الغربي قد أكدت على أن الصناعات القائمة على البرونز لا تزال مستخدمة في المراحل الأولى من العصر الحديدي، فإن أشكال أدوات الصيد، وإن تغيرت مادة صناعتها من البرونز إلى الحديد، إلا أنها ظلت كما كانت عليه في العصر الحجري الحديث (كفافي ٢٠٠٦: ٣٦٣).

أما أهم الأسلحة التي يمكن ملاحظتها في الفنون الصخرية المختارة للدراسة وتنتشر بكثرة فيمكن حصرها في الأنواع الآتية:

١. القوس والسهم

يعد القوس والسهم من أقدم الأسلحة التي

اللوحة ٢٠: آثار ما قبل التاريخ وفجره، شكل ٤:٢٩ (عبدالنعيم).

اللوحة ٢١: تقرير عن مسح مواقع جبة، شكل ٧,١٥ج (السعود).

اللوحة ٢٢: آثار ما قبل التاريخ وفجره، شكل ٤:٢٨ (عبدالنعيم).

استخدمها الإنسان القديم خلال العصر الحجري الحديث، كما يتضح ذلك من الفن الصخري، إذ يظهر في اللوحات (١-٤، ٧-٨)، القوس والسهم مع الصياد وهو في حالة صيد. وعادة ما تصنع السهام من جريد النخيل أو من عصي نبات الشوحط أو السدر أو التين، أما وتر القوس فيتم تجهيزه من عصب رقاب الجمال

اللوحة ٢٣: الأوضاع الحضارية، لوحة رقم (٤٢) (القنور).

(العيسى ١٤٢٥: ٢٥).

ويغلب على الظن أن رؤوس السهام صنعت في بداية الأمر بطريقة بريها لتصبح ذوات رأس مبروم حاد يخترق جسد الطريدة، ثم تطورت صناعتها ليتم تثبيت أدوات حجرية شكلت لهذا الغرض من أحجار متنوعة، إذ يتم تركيبها على عصي السهم إما بطريقة الضغط أو بلحاء الأشجار أو الحبال ونحوها.

٢. العصا والعصا المعكوفة

تظهر العصا مع الأشكال الآدمية في لوحات الفن الصخري وهم يمسكون بها وأحد طرفيها مرتكز على الأرض مثل اللوحة رقم (٦)، أو يلوحون بها باتجاه حيوان ما مثل اللوحة رقم (١٩).

ولا شك أن العصا تعد سلاحاً بسيطاً استخدمه الإنسان قديماً وحديثاً لأغراض شتى، مثل الحماية من بعض أنواع الحيوانات المفترسة الصغيرة والهوام ونحوها، أو التهويش بها على الأغنام والإبل والخيول وغيرها من الحيوانات المستأنسة أثناء رعيها، قال تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه: الآية ١٧-١٨).

أما العصا المعكوفة فهي قطعة صغيرة من الخشب تصنع بعدة أشكال مثل الشكل الهلالي الذي يظهر في اللوحة رقم (٥)، إضافة إلى أشكال أخرى مثل الشكل الذي يأخذ حرف (L) اللاتيني. وقد ظهرت العصا المعكوفة في الفن الصخري الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث في عدة مواقع بوصفها من أقدم أنواع الأسلحة التي استخدمها الإنسان القديم (خان ١٤١٤: ١٩٣).

٣. الرماح

يعد الرمح من الأسلحة القديمة التي عرفها الإنسان القديم في الجزيرة العربية واستخدمها في أغراض متعددة، مثل: القتال، والصيد، وقيادة المجموعات والجيوش.

ويتكون الرمح عادة من جزأين هما القناة والسن، أو رأس الرمح. القناة الجزء الطويل في الرمح، يتم تشكيلها وصناعتها من أخشاب متنوعة مثل الخيزران أو الشوحط، أو غيرهما بما يتوافر في البيئة الطبيعية. أما السن أو رأس الرمح فهو الجزء الحاد الذي يتم الطعن به، إذ يتم تثبيت أداة حجرية مثلثة الشكل تصنع من صخور بركانية حادة أو من قرون أو عظام بعض الحيوانات، ثم استبدلت لاحقاً بالأدوات المعدنية (العيسى ١٤٢٥: ٢٠).

واقترنَ ظهور الرماح في الفن الصخري بالخيول والجمال أثناء حالات الصيد أو القتال، ويرى خان أن ظهور الرماح كان في وقت متأخر، إذ بدأ ظهورها في العصر الحديدي (خان ١٤١٤: ١٩٣).

وفي اعتقادي أن ظهور الرماح واستعمالها من قبل الإنسان القديم قد سبق الفترة الزمنية التي حددها خان، إذ بينت اللوحات رقم (٩-١٧) أن الرماح عرفت على أقل تقدير في العصر البرونزي، وبما أن الرماح تماثل السهام التي كانت تستخدم في العصر الحجري الحديث من حيث الشكل والوظيفة مع اختلاف الحجم؛ فلماذا لا تكون الرماح هي تطور تقني للسهم؛ حدث في فترات زمنية ليست بالطويلة بعد صناعة السهام؛ ومن ثم، يمكن القول إن الرماح ظهر استخدامها على أقل تقدير في مراحل متأخرة من العصر الحجري الحديث، ولم يكن بالضرورة إظهارها في الفنون الصخرية التي

تعود إلى تلك الفترة الزمنية.

٤. السيوف

تعد السيوف من أنفس الأسلحة وأكرمها وأعزها عند الإنسان القديم والحديث عبر تاريخه الحضاري، فالسيف أحد أشهر أنواع الأسلحة التي استعملت في المقام الأول للقتال والدفاع عن النفس والرقص، وأحياناً في الصيد (اللوحة ٢٩).

وقد صنعت السيوف من الحديد القوي، إلا أنها قبل ذلك كانت تصنع من مادة البرونز، وذلك لاستخدامها في أغراض استعراضية مثل التدريب على القتال أو الرقص (الذييب ١٤٢٦: ٦٨).

إذاً، يمكن القول إنه في العصر الحجري الحديث والفترات اللاحقة صارت صناعة هذه الأسلحة أكثر تطورًا نظراً لحاجة الإنسان إليها في صيد الحيوانات، وعندما عرف الإنسان استخراج المعادن مثل النحاس ثم البرونز ثم الحديد، فإن صناعة الأسلحة اعتمدت اعتمادًا كليًا على إنتاج الرماح والأقواس والسهام والنصال من هذه المعادن، إلى جانب استخدام الأخشاب والعظام في صناعة بعض أنواع الأسلحة.

الخاتمة

إذاً، ومن خلال ما تم عرضه، يمكن القول إن من أهم مرتكزات الاستغلال المكثف والكبير للموارد المعيشية في البيئة المحيطة بالإنسان القديم في الجزيرة العربية بصفة عامة، وفي منطقة الدراسة على وجه الخصوص، هو اعتماد اقتصاد الصيد بوصفه من أهم الموارد الغذائية، إلى جانب الرعي والزراعة؛ وقد مثّل هذه المثلث الاقتصادي المكوِّن الرئيس لاقتصاد فترة الدراسة والفترات اللاحقة، إضافة إلى دخول حرفة التجارة مشكلة بذلك قوة اقتصادية كبيرة لمجتمعات منطقة الدراسة، فقد كان هذا التحول في أنماط الاقتصاد المعيشي في منطقة الشرق الأدنى القديم عامة والجزيرة العربية خاصة تحولاً تدريجياً.

وقد عُثر في منطقة الدراسة على أدوات حجرية تعكس تطور الصيد بوصفه من الركائز التي قام عليها الاقتصاد، ومن هذه الأدوات: النصال، والشفرات، ورؤوس السهام، والسواطير ونحوها؛ وذلك في مواقع تعود إلى العصر النحاسي والفترات اللاحقة، وتوجد هذه المواقع في المنطقة الممتدة من شمالي وادي السرحان حتى جنوبي حائل، ويعود تاريخ هذه المواقع إلى الفترة من الألف الرابعة وحتى الألف الثالثة قبل الميلاد (الأنصاري ١٤٢٧: ٥٢-٥٣). إضافة إلى استخدام الأقواس، والسهام، والرماح، والسيوف، والعصا، والعصا المعكوفة في مناشط الإنسان القديم الاقتصادية أو الاجتماعية.

وبالإمكان القول إن اعتماد الاقتصاد القائم على الصيد في منطقة الدراسة لم يتراجع أمام ممارسة الإنسان القديم للزراعة، فإذا كان الفن الصخري قد كشف عن تطور تقنيات الزراعة في المنطقة والمتمثلة في ظهور المحاريث في رسوم صخرية يجسد خلال العصر البرونزي في موقعي كلوة وتيماء بمنطقة تبوك، فإن الفن الصخري يشير أيضاً إلى استمرار ممارسة الصيد والتجارة والرعي، التي ما تزال من الركائز الاقتصادية خلال الفترة نفسها.

ولا شك أن الصيد قد ساعد على تهيئة نمط محلي للمعيشة في المنطقة، ما أدى إلى استقرار الجماعات البشرية في مواقع محددة، فإذا كانت ممارسة الزراعة قد أدت إلى نشأة القرى الزراعية في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، فإن الصيد -بوصفه مصدراً من مصادر الغذاء- قد أدى إلى نشأة مستقرات بشرية قامت على هذا النوع من الاقتصاد. ولا شك أن السبب الرئيس وراء قيام هذه المستقرات هو التكيف الحضاري لنمط المعيشة القائم على الصيد بوصفه المورد الأساس لاقتصاد الجماعات البشرية. وقد عُثر في منطقة الدراسة على منشآت حجرية ذات أشكال مختلفة مثل الدوائر والمربعات والمستطيلات ونحوها، تمثل بقايا هذه المنشآت وذلك بصفة خاصة في وادي عرعر ومنطقة الجوف (عبد النعيم ١٤١٦: ٣٩٣).

كما عرفت منطقة الدراسة تطوراً كبيراً تمثل في إقامة المدن المسوّرة منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد في كل من: العلا (دادان)، وتيماء، وخيبر، والجوف وقريّة؛ الأمر الذي يمكن أن نطلق عليه تنمية اقتصادية أدت إلى قيام هذه المدن، وأن هذه التنمية قد اعتمدت على الزراعة والرعي والصيد والتجارة، إضافة إلى التعدين، في تأسيس كياناتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. كذلك تشير الفنون الصخرية والبقايا الأثرية إلى أنه خلال الألف الثانية قبل الميلاد انتشرت في وسط الجزيرة العربية وشماليها مجموعات بشرية قامت حياتها أساساً على الرعي والصيد، وكيّفت حياتها وظروفها المعيشية على الأحوال المناخية الجافة والاستقرار الموسمي المؤقت تبعاً لتوفر المياه والمراعي، وتبعاً لوفرة الحيوانات التي يتم صيدها وقنصها والتنقل خلف تجمعاتها من مكان إلى آخر (الأنصاري ١٤٢٧: ٥٣؛ عبدالنعيم ١٤١٦: ٣٩٧-٣٩٨).

ويمكن القول، إجمالاً، إن الأوضاع الاقتصادية دلت على غنى جزئي في الأحوال المعيشية لمجتمعات منطقة الدراسة؛ على الأقل يلبي احتياجاتهم الأساسية؛ إذ كان الصيد يعد من أهم مرتكزات الاقتصاد في العصر الحجري الحديث، فقد توارثه الإنسان من حضارات العصر الحجري القديم وشرع في تطويره. وإذا كان الصيادون الأوائل في العصر الحجري القديم قد رسموا لوحات للحيوانات من أجل اعتقادهم أن ذلك قد يساعدهم في اقتناصها، فإن فناني العصر الحجري الحديث وما تلاه من فترات، قد اهتموا بتصوير موضوعات الصيد، وطرقه، والأسلحة المستخدمة وأنواع الطرائد. ولاشك أن اكتشاف البرونز ساعد في تطور صناعة الأسلحة مثل الحراب، والسهام، والأقواس وغيرها، فنشأ عن ذلك تطور في حرفة الصيد واعتماد الإنسان عليها في حياته الاقتصادية والاجتماعية. ثم شهدت صناعة الأسلحة تطورًا مذهلاً بعد اكتشاف الحديد في وقت لاحق، إذ ساعد في تطور صناعة الأسلحة والأدوات المستخدمة في صيد الحيوانات واقتناصها، وقد رصدت الفنون الصخرية بعض هذه التطورات.

كما أن الصيد كان يوجه بانتقاء أنواع معينة من الطرائد شملت الوعول والمها الوضيحي والنعام، على أن هذه الأنواع تعد أنموذجاً لحيوانات أخرى وإن لم تظهر في الفن الصخري، إلى جانب أن تكرار ظهور أنواع معينة من الحيوانات في مشاهد صيد لا يدل على كثرة هذه السلالة في البيئة الطبيعية فقط، بل يوحي بتفضيلها على غيرها من قبل المجتمعات البشرية. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن هذه المشاهد تعطينا فكرة عن مدى المهارة والخبرة التي وصل إليها الإنسان في اصطياد هذه الحيوانات بطرق متنوعة، على الرغم من الخصائص الفطرية العديدة التي تتمتع بها مثل السرعة والحذر.

وظهر في الفن الصخري الأسلحة المستخدمة في الصيد ومنها الأقواس، والسهام، والرماح، والسيوف، والعصا العادية، والعصا المعكوفة، واقترن ظهور الرماح في الفن الصخري بالخيول والجمال. ويرى الباحث أن ظهور الرماح واستعمالها كان في فترة زمنية تسبق العصر البرونزي في ضوء استقراء اللوحات العائدة لذلك العصر، وقياسًا على أن الرماح تماثل السهام التي كانت تستخدم في العصر الحجري الحديث من حيث الشكل والوظيفة؛ مع اختلاف الحجم؛ فلماذا لا تكون الرماح هي تطور تقني للسهام حدث في فترات متأخرة من العصر الحجري الحديث.

د. نايف بن علي القنور: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المراجع:
أولاً: المراجع العربية

الألوسي، محمود شكري، ١٩٢٤م، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، المكتبة الأهلية، الجزء ٢، ط ٢.

الأمين، يوسف مختار، جمادى الأولى/ يوليو ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية»، **أدوماتو٨**.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، محرم/صفر ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م، «ثمود والثمودية ١- ثمود كما أرخها القرآن الكريم»، **جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون**، اللقاء العلمي السنوي الثالث للجمعية: دول مجلس التعاون بدول الخليج العربية عبر العصور، مسقط.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون، ١٤٢٧هـ، **الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية**، الرياض: مؤسسة التراث.

باخشوين، فاطمة علي، سعيد ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م ، **الحياة الدينية في ممالك قتبان وحضرموت**، الرياض.

البادي، عوض، ١٤١٨هـ، **الرحالة الأوربيين في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان**، الرياض: دار بلاد العرب للتأليف والترجمة والنشر.

الباشا، حسن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، **الفنون في عصور ما قبل التاريخ**، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر.

الجبرين، فيصل حمد، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، **الرسوم الصخرية في جبل الكوكب بمنطقة نجران: دراسة تحليلية مقارنه**، رسالة ماجستير، قسم الآثار بكلية السياحة والآثار، الرياض: جامعة الملك سعود.

خان، مجيد، «التركيب والشكل في الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية»، **أطلال** ١١، ١١٣-١١٧.

خان، مجيد، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م **الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية**، الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف

الدوسري، سارة فالح، ١٤٣٠هـ، **الفنون الصخرية بجبل أم سنمان بمنطقة حائل: دراسة آثارية**، رسالة ماجستير، قسم الآثار بكلية السياحة والآثار، الرياض: بجامعة الملك سعود.

الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، منطقة الرياض: **التاريخ السياسي والحضاري القديم**، الرياض: مؤسسة التراث.

السبيعي، سند بن مطلق، ٢٠٠٤م، **الخيل معقود في نواصيها الخير**، الرياض: مكتبة العبيكان.

السعود، عبدالله بن سعود وآخرون، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، «تقرير عن مسح مواقع جبة بمنطقة حائل الموسم الأول ١٤٢٢هـ»، أطلال ١٨: ١٢٧-١٣٧.

الشارخ، عبدالله بن محمد، ١٤٢٤هـ/ يوليو ٢٠٠٣م، «رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية»، **العصور** ١٣، الجزء ٢، لندن، جمادى الأولى، ٧-٢٣

شقير، سلامة، ٢٠٠٢م، **اقتصاديات مشاريع تربية النعام**، سوريا: منشورات دار علاء الدين.

صراي، حمد محمد، صفر ١٤٢٠هـ/ مايو ١٩٩٩م، **الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبة الجزيرة العربية: تاريخياً- آثارياً- أدبياً**، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثالث.

العاني، فلاح خليل، ١٩٩٨م، **موسوعة الحيوان عند العرب**، الأردن.

عبد العزيز، محمود محمد، ١٩٩٩م، **الجمل العربي**، الإشعاع الفنية.

عبد النعيم، محمد، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، **آثار ما قبل التاريخ وفجرة في المملكة العربية السعودية**، ترجمة: عبدالرحيم خبير، الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

عقيل، عبدالرحمن جعفر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، **قنيص الوعول في حضرموت**، صنعاء عاصمة الثقافة العربية.

علام، نعمت اسماعيل، ١٩٧٩م، **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، القاهرة، ط٣.

العمير، عبدالله بن إبراهيم وسليمان بن عبدالرحمن الذييب، «النقوش والرسوم الصخرية بالجواء في منطقة القصيم»، **الدارة** ٢، السنة ٢٣، ١٠٧-٢١١.

العيسى، عباس، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، **موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية**، الجزء٧، ط٢، الرياض: وزارة التربية والتعليم.

أبو العلاء، صلاح الدين، ٢٠٠٩م، **إنتاج النعام: تربية- رعاية- تغذية-منتجات- مشاريع**، القاهرة: المكتبة الأكاديمية للنشر.

غادري، أحمد غسان، ٢٠٠٤م، **الخيول والجمال**، جامعة حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سوريا.

غلاب، محمد السيد وآخرون، ١٩٩٧م، **الجغرافية التاريخية في عصر ما قبل التاريخ وفجره**، الإسكندرية: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع.

غندور، أحمد محمد، ١٩٨٧م، **المها من الأسر إلى التوطين**، جدة: الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، ١٤٢٧هـ، «الجامع لأحكام القرآن»، تحقيق: عبدالله التركي وغيره، مؤسسة الرسالة، ط١، ج٢.

القزويني، زكريا، ١٩٨١م، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، ط٤.

القنور، نايف بن علي، ١٤٣٢هـ، **الرسوم الصخرية في سلسلة جبال ثهلان بمحافظة الدوادمي**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

القنور، نايف بن علي، ١٤٣٥هـ، الأوضاع الحضارية في شمال وشمال غربي الجزيرة العربية من خلال الرسوم الصخرية من الألف الرابعة إلى الألف الثانية قبل الميلاد، هيئة السياحة والتراث الوطني، تحت النشر.

كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٠٦هـ، «تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية للعام ١٤٠٥هـ»، **أطلال**١٠.

كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤١٠هـ، «حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الرابع ١٤٠٨هـ»، **أطلال** ١٢: ٥٣-٧٤.

كباوي، عبدالرحمن وآخرون، «تقرير مبدئي عن مسح الرسوم والنقوش الصخرية: الطائف والباحة الموسم الخامس ١٤١٠هـ»، **أطلال** ١٣، ١٤١١هـ، ٤١-٥١.

كباوي ، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٢٠هـ، «تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية جنوب غرب المملكة: أبها وجازان- الموسم السابع ١٤١٣هـ»، **أطلال** ١٥: ٩٩-١٠٦.

كفافي، زيدان، ٢٠٠٦م، **تاريخ الأردن في العصور القديمة: العصور البرونزية والحديدية**، عمان: المقتبس.

كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٠٩هـ، «حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث ١٤٠٦هـ»، **أطلال** ١١: ٧١-٩٢.

كمال، خالد بكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، **الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية: الثدييات**، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ط٢.

ليفنجستون، اليستر وآخرون، ١٤٠٥هـ ، «حصر وتسجيل النقوش الصخرية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م»، **أطلال** ٩ ، ١٢٧-١٢٨.

الماحي، علي التيجاني، شوال ١٤٢١هـ/ يناير ٢٠٠٠م، «اقتصاد التأقلم البيئي والكلب المستأنس في العصور الحجرية بوادي النيل الجنوبي»، **أدوماتو** ١: ٣١.

محمد، رشاد، مديحة، ٢٠٠٧م، **فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ**، صنعاء: المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية.

محمد علي، عباس سيد أحمد، ١٤٢١هـ، «ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية»، **الدارة**، العدد ٣، السنة ٢٦: ٨٩-١٣١.

النافع، عبداللطيف بن حمود، ١٤١٩هـ «الخصائص الطبيعية في منطقة الرياض: التربة والبيئة الحيوية لمنطقة الرياض»، في: كتاب منطقة الرياض: **دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية**، الجزء٤، إمارة منطقة الرياض.

النعيم، نورة عبدالله العلي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي**، الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع، ط١.

النعيمي، إبراهيم سليمان، ١٩٩٨م، **الكلب**، دار الثقافة.

الهاجري، سعيد علي وآخرون، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، «سبخة الضبطية: جيولوجيا وآثار»، **أطلال** ١٧: ١٦١-١٦٩.

الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، **حضارة المقر: جذور الخيل العربية**، الرياض.

ثانياً: المراجع غير العربية

Anati , E. 1968a. **Rock Art in Central Arabia**, Vol.1:"The Oval-headed" People of Arabia, Louvain: Universite de Louvain Institute Orientalise

Abdul Nayeem, M. 2000. **The Rock Art of Arabia** (Saudi Arabia ,Oman, Qatar ,Emirates and Yemen), Hyderabad Publishers

Khan, M. 2007. **Rock Art of Saudi Arabia Across Twelve Thousand Years**. Ministry of Education, Riyadh.

Rachad, Madiha. 1994. **Lartrupester son context Prehistorique au Yemaendans la Region de sadaa**